

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين  
واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

ورد عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (يا أبا ذر احفظ ما أوصيك به تكن سعيداً في الدنيا  
والآخرة...؟)

وقد تضمنت هذه الوصية المحمدية لأبي ذر عدة مواعظ جليلة:

الموعظة الأولى: (يا أبا ذر إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه).

وما أعظم هذه الكلمة في وصف بعض العلماء، حيث وصف (صلى الله عليه وآله) البعض منهم بأنه قد  
يصرف عمره في طلب العلم وتدريسه وتدوينه لكنه يجيء يوم القيامة وهو شر الناس منزلة، لا بمعنى أنه  
بعيد عن المقامات العالية، ولا أنه حرم من لقاء الصديقين والشهداء والصالحين، بل إنه شر الناس منزلة.  
وما ذلك إلا لأن هذا العالم لم ينتفع هو بعلمه، ولم ينتفع الدين بعلمه، بل إنه أضر بسمعة العلم وشوه  
صورة الدين، فإن العالم إذا انحرف والعياذ بالله كان ضرره على الدين أشد من ضرر أي فاسق متجاهر  
بالفسق، بل ضرره على الدين أشد من ضرر المرتد، فإن انحراف العالم انحراف لمجتمع بكامله، فالعالم  
كالسفينة إن نجا نجا به خلق كثير، وإن غرق غرق معه خلق كثير، وبالتالي إذا كان علمه علماً نافعاً كما لو  
استثمر علمه في ترسيخ المعارف الدينية وترويج معارف أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) والدفاع  
عن مذهبهم ومقاماتهم بحيث يعد حافظاً للدين وحصناً لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) كان من  
الأنوار المشرقة يوم القيامة، وأما إذا عكس ذلك، كما لو كان يستغل علمه في وضع الشبهات وإثارة  
التشكيكات في الدين أو مذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم)، أو تربية المؤمنين على البعد عن حريم  
الاحتياط في أحكام الله تبارك وتعالى، أو تمهيد الطريق الموجب لجرأة الناس على المحرمات والمعاصي، فإن  
كل ذلك يندرج تحت عنوان عالم لا ينتفع بعلمه، (ومن طلب علماً ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ربح  
الجنة)، فإن من يستخدم الإعلام والدعايات في سبيل أن يصرف وجوه الناس إليه بأي نحو من الأنحاء  
وكان شخصه وعنوانه أهم من الدين ومذهب أهل البيت (صلوات الله عليهم) لم يجد ربح الجنة.

الموعظة الثانية: (يا أبا ذر إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، وإن الكافر ليرى  
ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه).

وهذه الموعظة ترشدنا إلى أن المؤمن في حال ندم وحسرة بشكل دائم، فإن أطاع رأى نفسه مقصراً في حق الله وأنه مما ينبغي له كمؤمن أن يكثر من الطاعات والقربات، وإن زل يوماً أو ارتكب ذنباً عاش حرارة وحسرة وندماً وكان قلبه في حالة اضطراب وألم، كل ذلك لأنه يتذكر الذنب والمعصية.

ولا غرابة في ذلك، فشأن المؤمن أنه شديد الحسرة والندم على ذنوبه، بل يشعر كأن ذنبه صخرة يخاف أن تقع عليه، وأما إذا كان لا يبالي زل أو أخطأ وكان يسوف التوبة كلما زل أو أذنب فهو يعيش روح عدم المبالاة وعدم الاكتراث، فكأنه كافر برقابة الله عليه.

الموعظة الثالثة: (يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية).

إن محاسبة النفس واجب على كل مؤمن وعلى طالب العلم فريضة، فإن طالب العلم بمكان القدوة والمثل الذي ينظر إليه الناس، فكونه في مقام المحاسبة لنفسه أمر لازم، وبهذه المناسبة نتذكر فقيه أهل البيت العارف المرجع العظيم السيد عبد الأعلى السبزواري (قدس الله سره) حيث كان يقول: ما يمنع طالب العلم في كل يوم قبل أن ينام - ولو بمقدار خمس دقائق - أن يستذكر أفعاله في ذلك اليوم؟ هل كان فيه ذنب والعياذ بالله؟ هل اعتدى على مؤمن والعياذ بالله؟ هل اغتاب مؤمناً لا سمح الله؟ هل جرح فقيراً مسكيناً؟ إنه عمل سهل أن يواظب في كل يوم بمقدار خمس دقائق ليستذكر طريقه، فإن هذه التذكرة في كل يوم ولو بمقدار خمس دقائق تصونه عن الخطأ، وتردعه عن التعمد للذنوب، فيكون مصداقاً لقول النبي (صلى الله عليه وآله): (حاسب نفسك قبل أن تحاسب)، وورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله تعالى منها، وإن عمل سيئة استغفر الله وتاب إليه).

قال (صلى الله عليه وآله): (وزن نفسك قبل أن توزن) كسائر البضائع التي توضع في الميزان فيرى أنها راجحة أو مرجوحة، لذلك عليك أن تزن نفسك كم الحسنات؟ وكم السيئات؟ وهل زادت الحسنات على السيئات أم لا؟ عليك أن تذكر نفسك هل كان كلامك موزوناً؟ هل كان عملك موزوناً؟ هل كانت علاقتك مع الناس موزونة؟ وتجهز قبل يوم العرض، بل وتجهز قبل غمض العين، وقبل لقاء الموت، وقبل الرحيل إلى الدار الآخرة. (اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والمغفرة قبل الموت واليسر عند الحساب).

اللهم أعنا على لقاءك، اللهم نبهنا من نومة الغافلين، اللهم واجعلنا من المسترشددين، واجعلنا من المنظورين لرعاية مولانا صاحب الأمر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.